تفسير القرآن الكريم

سورة هود ١٩-١٢-١٤٠٣ ٧

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ
فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)

سورة هود

أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ(٢)

سورة هود

و أَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثمُ تُوبُواْ إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ
مُّسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ
وَ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنىّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ(٣)

إِلـىَ اللَّهِ مَرْجِعُكمُ وَ هُوَ عَلـىَ كلُ‏ شـىَ‏ءٍ قَدِيرٌ (۴)

سورة هود

أَلَا إِنـهُّمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْـهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَـهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّـهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٥)

سورة هود

وَ مَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ(٦)

سورة هود

وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ
فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ وَ کَانَ عَرْشُهُ عَلَی الْمَاءِ
لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ لَئِنْ قُلْتَ
إِنَّکُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَیَقُولَنَّ
الَّذِینَ کَفَرُواْ إِنْ هَاذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِینٌ(۷)

سورة هود

وَ لَئنِ أَخَّرْنَا عَنهُمُ الْعَذَابَ الِىَ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يحَبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنهُمْ وَ حَاقَ بهِم مَّا كاَنُواْ بِهِ يَسْتهَزِءُونَ(٨)

سورة هود

وَ لَئنِ أَذَقْنَا الْانسَنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ(٩)

و لئن اذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعناهـا منـه إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ

- أقسم اللّه تعالى فى هذه الاية انه لو أحل تعالى بالإنسان رحمة من عنده يعنى ما يفعله اللّه تعالى بهم فى الدنيا من الأرزاق، فانه يعم بها خلقه كافرهم و مؤمنهم. ثم نزعها منه و سلبها،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۳

و لئن اذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعناها منه إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ

- و سمى إحَلال اللذات بهم اذاقة تشبيهاً و مجازاً، لان الذوق فى الحقيقة تناول الشىء بالفم لادراک الطعم، و الإنسان حيوان على الصورة الانسانية لأن الصورة الانسانية بانفرادها قد تكون للتمثال و لا يكون إنساناً فإذا اجتمعت الحيوانية و الصورة لشىء فهو انسان. قال الرمانى: و كلما لا حياة فيه فليس بإنسان كالشعر و الظفر و غيرهما.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۳

و لئن اذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعناها منه إنّه لَيَؤُسٌ كَفُورٌ

- و النزع رفع الشیء عن غيره مما كان مشابكا له، و النزع و القلع و الكشط نظائر. و اليأس القطع بأن الشیء لا يكون و هو ضد الرجاء و يؤوس كثير اليأس من رحمة اللّه و هذه صفة ذم، لأنه لا يكون كذلک الا للجهل بسعة رحمة اللّه التی تقتضی قوة الأمل.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۴

و لئن اذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعناها منه إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ

- و فائدة الآية الاخبار عن سوء خلق الإنسان و قنوطه من الرحمة عند نزول الشدة و أنه إذا أنعم عليه بنعمة لم يشكره عليها و إذا سلبها منه يئس من رحمة اللّه و كفر نعمه، و هو مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۴

و لئن أذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعناها منه إنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ

- قوله تعالىَ: «وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ» قال فَى المجَمع: الذوق تناول الَشىَء بالفم لإدراک الطعم، و سمى الله سبحانه إحلال اللذات بالإنسان إذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل: أحلام نوم أو كظل زائل و النزع قلع الشىء عن مكانه، و اليئوس فعول من يئس- صيغة مبالغة- و اليأس القطع بأن الشىء المتوقع لا يكون و نقيضه الرجاء. انتهى.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۱۵۶

و لئن أذقنا الانسن منّا رحمةً ثمّ نزعناها منه إنّهُ لَيَؤُسٌ كَفُور

- و قد وضعَت الرحمةَ فى الآيةَ مكان النعمةَ للإشعار بأن النعم التى يؤتيها الله الإنسان عنوانها الرحمةَ و هى رفع حاجةَ الإنسان فيما يحتاج إليه من غير استحقاق و إيجاب

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۱۵۶

و لئن أذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعناها منه إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ

- و المعنى: أنا إن آتينا الإنسان شيئا من النعم التى يتنعم بها ثم نزعناها يئس منها و اشتد يأسه حتى كأنه لا يرى عودها إليه ثانيا ممكنا و كفر بنعمتنا كأنه يرى تلك النعمة من حقه الثابت علينا و يرانا غير مالكين لها فالإنسان مطبوع على اليأس عما أخذ منه و الكفران، و قد أخذ فى الآية لفظ الإنسان- و هو لفظ دال على نوعه- للدلالة على أن الذى يذكر من صفته من طبع نوعه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ١٥٦

سورة هود

وَ لَئِنِ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاتُ عَنِّى إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ(١٠)

و لئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- أقسم اللَّه تعالى فِي هذه الآيةَ أنه لو أحل بالإنسان «نَعْماءَ بَعْدَ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ» لأن الهاء كناية عن الإنسان الذى مضى ذكره، و النعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه و الضراء مضرة تظهر الحال بها، لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة كحمراء و عوراء مع ما فيها من المبالغة. و معنى «مسته» نالته.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۴

و لئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- و قوله «لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي» أى يقول عند نزول النعماء به بعد أن كان فى ضدها من الضراء:ذهبت الخصال التى تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه أو عقله، و هو- هاهنا- بمعنى المرض و الفقر، و نحو ذلک.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۴

و لئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- و قوله «إِنَّه لَفرِح فخور» إخبار منه تعالى أن الإنسان فرح فخور. و الفرح انفتاح القلب بما يلتذ به و ضده الغم، و مثله السرور و المرح. و الفرح لذة فى القلب أعظم من ملاذ الحواس. و الفخور المتطاول بتعديد المناقب، و فخور كثير الفخر، و هى صفة ذم إذا أطلقت لما فيه من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه. و قيل: للعالم أن يفخر على الجاهل بالعلم لتعظيم العلم و تحقير الجهل، و لذلک تفخر النبى على الكفار.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۴

و لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- قال فی المجمع،: النعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه و الضراء مضرة يظهر الحال بها لأنهما أخرجتا مخرج الأحوال الظاهرة مثل حمراء و عيناء مع ما فيهما من المبالغة، و الفرح و السرور من النظائر و هو انفتاح القلب بما يلتذ به و ضده الغم- إلى أن قال:- و الفخور الذى يكثر فخره و هو التطاول بتعديد المناقب و هي صفة ذم إذا أطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه. انتهى.

الميزان فی تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵۶

و لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- و المراد بالسيئات بقرينة المقام المصائب و البلايا التى يسوء الإنسان نزولها عليه، و المعنى: و لئن أصبناه بالنعمة بعد الضراء ليقولن ذهب الشدائد عنى، و هو كناية عن الاعتقاد بأن هاتيک الشدائد و النوازل لا تعود بعد زوالها و لا تنزل بعد ارتفاعها ثانيا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٧

و لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- و قوله: «إِنَّه لَفَرِح فخور» بمنزلة التعليل لقوله: «ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي» فإنه يفرح و لا يزال على ذلک لما ذاقه من النعماء بعد الضراء، و لو كان يرى أن ما عنده من النعماء جائز الزوال لا وثوق على بقائه و لا اعتماد على دوامه، و أن الأمر ليس إليه بل إلى غيره و من الجائز أن يعود إليه ما تركه من السيئات لم يكن فرحا بذلک فإنه لا فرح فی أمر مستعار غير ذی قرار.

الميزان فی تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵۷

و لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ

- و إنه ليفخر بما أوتى من النعمَاء علىَ غيره، و لا فخر إلا بكرامة أو منقبة يملكها الإنسان فهو يرى ما عنده من النعمة أمرا بيده زمامه ليس لغيره أن يسلبه و ينزعه منه و يعيد إليه ما ذهب عنه من السيئات و لذلک يفخر و يكثر من الفخر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٧

سورة هود

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ(١١)

إِلَّا الَّذِينَ صَبرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَات

- لما أخبر اللَّه تعالى عن أحوال الخلق و أن أكثرهم إذا حل بهم نعمه تعالى بعد أن كانوا فى مضرة شديدة و انهم إذاً يقولون ذهب السيئات عنهم و ان كثيراً منهم فرح فخور، استثنى من جملتهم المؤمنين بتوحيد اللَّه الصابرين على طاعاته و الكف عن معاصيه و أضافوا الى ذلک الأعمال الصالحات.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۵

إِلَّا الَّذِينَ صَبرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ

- و الصبر حبس النفس عن المشتهى من المحارم. و الصبر على مرارة الحق يؤدى الى الفوز بالجنة فى الآخرة مع ما فيه من الجمال فى الدنيا. و استثنى الذين صبروا من الإنسان، لأنه في معنى الجمع كما قال «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» «١»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۵

إِلَّا الَّذِينَ صَبرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَات

- و قال الزجاج و الأخفش: (إلا) بمنى (لكن) لأنه ليس من جنس الأول. و الأول قول الفراء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۵

أُولَئِکَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ

- و قوله «أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ» إخبار من اللّه تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأن لهم عند اللّه المغفرة و الأجر العظيم.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۵

إِلَّا الَّذِينَ صَبرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالحَات

- قوله تعالي: «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالحَات أُولئکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ» ذكر سبحانَه ما الإنَسان مَطبَوع عليه عَند الشدة و اَلبلاء من اليأس و الكفر و عند الرخاء و النعماء من الفرح و الفخر،

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٧

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ

- و مغزى الكلام أنه مخلوق كليل البصر قصير النظر إنما يرى ما يجده فى حاله الحاضرة، و يذهل عما دون ذلك فإن زالت عنه نعمة لم ير لها عودة و أنها كانت من عند الله سبحانه، و له تعالى أن يعيدها إليه إن شاء حتى يصبر على بلائه و يتعلق قلبه به بالرجاء و المسألة، و إن عادت إليه نعمة بعد زوالها رأى أنه يملكها ففرح و فخر و لم ير لله تعالى صنعا فى ذلك حتى يشكره عليها و يكف عن الفرح و عن التطاول على غيره بالفخر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٧

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ

- استثنى سبحانه طائفة من الإنسان و وصفهم بقوله: «اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» ثم وعدهم وعدا حسنا بقوله: «أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ» و ذلک أن التخلص من هذا الطبعَ المذموم إنَما يتمشى مَن الصابرين الذين يصبرون عندالضراء فلا يحملهم الجزع على اليأس و الكفر، و يعملون الصالحات من الشكر بثنائه تعالى على ما كشف الضراء و أعقب بالنعماء و صرف نعمه فى ما يرضيه و يريح خلقه فلا يحملهم الاستغناء على الفرح و الفخر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٧-١٥٨

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ

- و هؤلاء هم المتخلصون الناجون يغفر لهم ربهم بإمحاء آثار ذلک الطبع المذموم و وضع الخصال المحمودة موضعه و لهم عند ربهم مغفرة و أجر كبير.
- و فی الآية دلالة على أن الصبر مع العمل الصالح لا ينفک عن الإيمان فإنها تعد هؤلاء الصابرين مغفرة و أجرا كبيرا، و المغفرة لا تنال المشركين، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ:» النساء:- ١١٦.

الميزان فی تفسير القرآن، ج١٠، ص: ١٥٨

إِلَّا الَّذِينَ صَبرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَات

- و قد ورد الوعد بعين ما ذكر فى هذه الآية أعنى المغفرة و الأجر الكبير للمؤمنين فى قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ:» فاطر:- ٧، و قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ:» الملک:- ١٢.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٨

إِلَّا الَّذِينَ صَبرُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ

- و اتصال الآيات الثلاث بما قبلها ظاهر فإن الكلام كان فى الآيات السابقة مسوقا فى كفر الكافرين و رميهم الوعد بالبعث بالسحر و مقابلتهم الإيعاد بنزول العذاب بالاستهزاء، فذكر سبحانه أنهم على حالهم الطبعى لا يرون لما عندهم من نعمة الله زوالا بنزول العذاب و لا لما بهم من رث الحال تبدلا إلى العيش الهنىء و المتاع الحسن الذى وعدهم الله به فى صدر السورة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٨

سورة هود

فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَ ضَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلَى كُلُ شَىءٍ وَكِيلٌ(١٢)

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله يحثه على أداء جميع ما بعثه به و أوحى اليه، و ينهاه عن كتمانه، و يشجعه على الأداء، و يقول له لا يكون لعظم ما يرد على قلبك و يضيق به صدرك من غيظهم يوهمون عليك انهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من امر ربک،

التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۶

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و أنک تترک بعض الوحی و يضيق به صدرک مخافة أن يقولوا أو لئلا يقولوا «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ» أی هلا انزل عليه كنز فينفق منه «أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکٌ» يعينه على أمره بل «إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ» أی منذر مخوف من معاصی اللّه و عقابه «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أی حافظ يكتب عليهم أفعالهم و أقوالهم، و مجازيهم عليها، فلا تغمک أقوالهم و لا أفعالهم و لا يضيق بذلک صدرک فان وبال ذلک عائد عليهم.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۶

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و ضائق و ضيق واحد الا ان (ضائق) هاهنا احسن لمشاكلته لقوله:تارک، و الضيق قصور الشيء عن مقدار غيره ان يكون فيه، فإذا ضاق صدر الإنسان قصر عن معان يتحملها الواسع الصدر. و الصدر مسكن القلب و يشبه به رفيع المجالس و رئيس القوم لشرفه على غير، و الكنز المال المدفون لعاقبته، و صار فى الشرع اسم ذم فى كل مال لا يخرج منه حق اللّه من الزكاة و غيره، و إن لم يكن مدفونا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۵، ص: ۴۵۶

فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ

- قوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ» إلى آخر الآية، لما كانت رسالة النبى ص بما أيدت به من القرآن الكريم و الآيات البينات و الحجج و البراهين مما لا يسع لذى عقل إنكارها و لا لإنسان صحيح المشاعر ردها و الكفر بها كان ما حكى من كفر الكافرين و إنكار المشركين أمرا مستبعدا بحسب الطبع،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۱۵۹

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و إذا كان وقوع أمر عَلى صفة من الصفاتَ مستبعدا أخذ الإنسان فى تقرير ذلک الأمر من غير مجرى الاستبعاد طلبا للمخرج من نسبة الوقوع إلى ما يستبعده الطبع.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٩

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و لما كان المقام فى الآية الكريمة هذا المقام و كان ما حكاه الله سبحانه من كفر المنكرين و إنكار المشركين لما جاء به النبى ص إليهم من الحق الصريح و ما أنزل إليه من كلام الله تعالى مع ما يتلوه من البينات و الحجج مما لا ينبغى أن يذعن به لبعده طبعا بين تعالى لذلك وجها بعد وجه على سبيل الترجي فقال: «فَلَعَلَّکَ تَارِکٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ» إلخ، «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» إلخ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٩

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- فكأنه قيل: من المستبعد أن تهديهم إلى الحق الواضح و يسمعوا منک كلامی ثم لا يستجيبوا دعوتک و يكفروا بالحق بعد وضوحه فلعلک تارک بعض ما يوحى إليک و غير داعيهم إليه و لذلک جبهوک بالإنكار أم يقولون إن القرآن ليس من كلام الله بل هو افتراء افتريته على الله و لذلک لم يؤمنوا به.

الميزان فی تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵۹

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- فإن كنت تركت بعض الوحى خوفا من اقتراحهم عليک الآيات فإنما أنت نذير و ليس لک إلا ما شاء الله، و أن يقولوا افتراه فقل لهم يأتوا بعشر سور مثله مفتريات «إلخ».

الميزان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵۹

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و مما تقدم يظهر أن إيراد الكلام مورد الترجى و الاحتمال لرعاية ما يقتضيه المقام من طبع الاستبعاد فالمقام مقام الاستبعاد و مقتضاه ذكر كل سبب محتمل التأثير فى الحادثة المستبعدة، اعتبر ذلک فى ملک ينتهى إليه تمرد بعض ضعفاء رعيته فيبعث بعض عماله إلى دعوتهم إلى السمع و الطاعة و يكتب فى ذلک كتابا يأمره أن يقرأه عليهم و يلومهم على تمردهم و استكبارهم على ما بهم من الضعف و الذلة و لمولاهم من القوة و السطوة و العزة

الميزان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵۹

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- ثم يبلغ الملک أنهم ردوا على رسوله ما بلغهم من قبله، و يكتب إليه كتابا ثانيا يأمره بقراءته عليهم و إذا فيه: لعلک لم تقرأ كتابى عليهم مخافة أن يقترحوا عليک بما لا تقدر عليه أو أنهم زعموا أن الكتاب ليس من قبلى و إنما افتريته على افتراء فإن كان الأول فإنک رسول ليس عليک إلا البلاغ و إن كان الثانى فإن الكتاب بخطى كتبته بيدى و ختمت عليه بخاتمى و لا يقدر أحد غيرى أن يقلدنى فى ذلک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٩

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و التأمل فی هذا المثال يعطی أن المقام فيما يتضمنه الكتاب الثانی من الخطاب مقام الاستبعاد و أن القصد من ذكر الاحتمالين ترک الإبلاغ و زعم الافتراء ليس هو توبيخ الرسول جدا أو احتمال زعمهم الكذب و الفرية جدا، و إنما ذكر الوجهان لداعی أن يكونا كالمقدمة لذكر ما يزول به الشبهتان و هو أن الرسول ليس له من الأمر شیء حتی يقترح، عليه بما يقترح و أن الكتاب للملک ليس فيه ريب و لا شک.

الميزان فی تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵۹

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا یُوحَی إِلَیْکَ

- و من هنا یظهر أن قوله تعالی: «فَلَعَلَّکَ تارِکٌ بَعْضَ ما یُوحی إِلَیْکَ و ضائِقٌ به صَدْرُکَ» إلخ، لیس یفید الترجی الجدی و لا مسوقاً لتوبیخ النبی ص و لا مرادا به تسلیته و تطییب نفسه إثر ما کان یناله من الحزن و الأسی بکفرهم و جحودهم لما أتی به من الحق الصریح بل الکلام مسوق لیتوصل به إلی ذکر قوله: «إِنَّما أَنْتَ نَذِیرٌ و اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ».

المیزان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۰

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا یُوحَی إِلَیْکَ

- فما ذکره بعض المفسرین أن الکلام مسرود لنهی النبی ص عن الحزن و ضیق الصدر بما کانوا یواجهونه به من الکفر و الجحود، و النهی نهی تسلیة و تطییب للنفس نظیر ما فی قوله: «وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُ فی ضَیْقٍ ممَّا یَمْکُرُونَ:» النحل:- ۱۲۷، و قوله: «لَعَلَّکَ بَاخِعٌ نَفْسَکَ أَلَّا یَکُونُوا مُؤْمنینَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ منَ السَّمَاءِ آیَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِینَ:» الشعراء:- ۴ کلام لیس فی محله.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۰

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و يظهر أيضا أن قوله: «فَلَعَلَّکَ تارِکٌ» إلخ، و قوله: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» إلخ، كشقى الترديد و يتصلان معا بما قبلهما من وجه واحد كما ذكرناه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۰

فَلَعَلَّکَ تارکٌ بَعْضَ مَا یُوحَى إِلَیْکَ

- و قوله: «تارکٌ بَعْضَ مَاَ یُوحى إِلَیْکَ» إنما ذَکر الـبعض لأن الآیات السابَقة متضمنة لتبلیغ الوَحی فی الجملة أی لعلـک ترکت بعض ما أوحینا إلیک من القرآن فما تلوته علیهم فلم ینکشف لهم الحق کـل الانکشـاف حتـی لا یجبهـوک بمـا جبهوک به من الـرد و الجحـود، و ذلـک أن القـرآن بعضـه یوضح بعضا و شطر منه یقرب شطرا منه من القبول کآیـات الاحتجاج توضح الآیات المشتملة على الدعاوی، و آیـات الثواب و العقاب تقرب الحق من القبول بالتطمیع و التخویف، و آیات القصص و العبر تستمیل النفوس و تلین القلوب.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۱۰، ص: ۱۶۰

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا یُوحَی إِلَیْکَ

- و قوله: «وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ أَنْ یَقُولُوا» إلخ، قال فی المجمع، ضائق و ضَیقَ بمعنی واحد إلا أن ضائق هاهنا أحسن لوجهین: أحدهما: أنه عارض و الآخر أنه أشکل بقوله تارک انتهی.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۰

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و الظاهر أن ضمير «به» راجع إلى قوله: «بَعْضَ ما يُوحى» و إن ذكر بعضهم أن الضَمير راجع إلى قولهم: «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ» إلخ، أو إلى اقتراحهم و هذا أوفق بكون قوله «أَنْ يَقُولُوا» إلخ، بدلا من الضمير في «به» و ما ذكرناه أوفق بكونه مفعولا له لقوله: «تارِكٌ» و التَقدير: لعلک تارک ذلک مخافة أن يقولوا: لو لا أنزلَ عليه كنز أو جاء معه ملک.

الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦١

فَلَعَلَّکَ تارِکٌ بَعْضَ ما یُوحی إِلَیْکَ

- و قوله: «إِنَّما أَنْتَ نَذِیرٌ» جواب عن اقتراحهم بقولهم: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ کَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکٌ، و قد تکرر فی مواضع من کلامه تعالَی ذکر ما اقترحوه اقتصر فی بعضها علی ذکر مجیء الملک و زید فی بعضها علیه غیره کاقتراح الإتیان بالله سبحانه لیشهد علی الرسالة و أن یکون له جنة یأکل منها و أن ینزل من السماء کتابا یقرءونه.

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و قد أجاب الله سبحانه عنها جميعا بمثل ما أجاب به هاهنا و هو أن رسوله ليس له إلا الرسالة فليس بيده و هو بشر رسول أن يجيبهم إلى ما اقترحوا به عليه إلا أن يشاء الله فِي ذلک شيئا و يأذن فی إتيان آية كما قال: «وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ:» المؤمن:- ٧٨.

الميزان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦١

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- ثم عقب قوله: «إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ» بقوله: «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» لتتميم الجواب عن اقتراحهم على النبى ص بالمعجزات و محصله: أن النبى ص بشر مثلهم و لم يؤمر إلا بالإنذار و هو الرسالة بإعلام الخطر، و القيام بالأمور كلها و تدبيرها سواء كانت جارية على العادة أو خارقة لها إنما هو إلى الله سبحانه فلا وجه لتعلقهم بالنبى ص فيما ليس إليه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦١

فَلَعَلَّکَ تَارِکُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْکَ

- و ذلک أن الله سبحانه هو الموجد للأشياء كلها و فاطرها و هو القائم على كل شيء فيما يجرى عليه من النظام فما من شيء إلا و هو تعالى المبدأ فى أمره و شأنه و المنتهى سواء الأمور الجاريۀ على العادۀ و الخارقۀ لها فهو تعالى الذى يسلم إليه أمره و يدبر شأنه فهو تعالى الوكيل عليه فإن الوكيل هو الذى يسلم إليه الأمر و ينفذ فيه منه الحكم فهو تعالى على كل شيء وكيل.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦١